من مشكلات المسلمين الكبرى

الجمعة ١٤٢٤/٨/٦هـ

الجزء السادس – الخطبة رقم ١

إن الحمد لله ... أما بعد:

فمعاشر المسلمين: إن الناظر في حال المسلمين في شتى أنحاء المعمورة يرى أن مصاب المسلمين يتنوع عدداً ويختلف زماناً ومكاناً وأشخاصاً، وقد تخف مصائب أحياناً، وقد تتلاشى أحياناً أخرى إلا أن من المصائب ما يكون مستديماً دهراً أو دهوراً؛ ومن أسباب استدامته: الغفلة عنه أو طلب علاجه بغير الطريق الشرعي، لما كان الأمر كذلك كان على كل مهتم أمر المسلمين ومصابهم، وبخاصة من أهل العلم ودعاة الخير كان عليهم بادئ بدء أن يشخصوا الداء قبل الدواء ذلكم لأن تشخيص الداء يسهل معرفة الدواء.

معاشر المسلمين: إن من المعلوم قطعاً أن القرآن الكريم متضمن لخيري الدنيا والآخرة، ولازم ذلك ومعناه أنه جامع لكل خير دافع لكل شر، ولذا وصف بأنه الهدى والنور والحياة والروح إلى غير ذلك من الأوصاف الدالة على عظيم شأنه ورفيع منزلته وكمال تعاليمه وهديه.

معاشر المسلمين: وإن من آيات القرآن الدالة المؤكدة على أن هدي القرآن هو الهدي الأقوم الأكمل قوله تعالى:"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" ومن خلال ما تضمنته هذه الآية من عظيم المعاني والحكم سالت مداد أقلا م العلماء فسطرت فرائد وفوائد وحكم وأحكام حول عظيم أثر هداية القرآن، وكان من أولئك الأعلام الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى فقد أجاد وأفاد في كلامه حول هذه الآية، وكان كلامه منصباً على أثر هداية القرآن على مصاب الإسلام، فقال رحمه الله تعالى ما نصه:(ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هديهُ إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها ، ونحن نبين هدي القرآن العظيم إلى حل ثلاث مشكلات هي من أعظم ما يعانيه العالم في جميع أنحاء المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام تنويها بها على غيرها.

<u>المشكلة الأولى</u>: هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العَدَد والعُدَد عن مقاومة الكفار، وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه لأن الله قوي عزيز قاهر لكل شيء؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا. فمن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب المذكور في قوله تعالى:"إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا" كان علاج ذلك هو ما ذكرنا؛ فانظر إلى شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصاداً، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلوا به هذه المشكلة العظمى هو ما بينه الله جل وعلا في سورة الأحزاب بقوله:"ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً" فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله جل وعلا ثقة به وتوكلاً عليه هو سبب حل هذه المشكلة العظمى. وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى:"ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً"، وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما

كانوا يظنونه، ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح؛ قال تعالى:"يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها" ولما علم جل وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله:"لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم" أي: من الإيمان والإخلاص – كان من نتائج ذلك ما ذكره الله جل وعلا في قوله:"وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا" فصرح جل وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدروا عليها، وأن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم. فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته عليه "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين" وقوله تعالى في هذه الآية:"لم تقدروا عليها" فعل في سياق النفي، والفعل في سياق النفي من صيغ العموم على التحقيق، كما تقرر في الأصول. فقوله:"لم تقدروا عليها" في معنى لا قدرة لكم عليها، وهذا يعم سلب جميع أنواع القدرة ؛ لأن النكرة في سياق النفي تدل على عموم السلب وشموله لجميع الأفراد الداخلة تحت العنوان كما هو معروف في محله. وبهذا تعلم أن جميع أنواع القدرة عليها مسلوب عنهم، ولكن جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، لما علم من الإيمان والإخلاص في قلوبهم "وإن جندنا لهم الغالبون".

المشكلة الثانية: هي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء – مع أن المسلمين على الحق، والكفار على الباطل. وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأفتى الله جل وعلا فيها، وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جل وعلا، وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد: فقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلا من الأنصار، وجرح صلى الله عليه وسلم، وشقت شفته، وكسرت رباعيته، وشج صلى الله عليه وسلم – استشكل المسلمون ذلك وقالوا: كيف ينال منا المشركون؟ ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فأنزل الله قوله تعالى:"أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم". وقوله تعالى:"قل هو من عند أنفسكم" فيه إجمال بينه تعالى بقوله:"ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا – إلى قوله - ليبتليكم". ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح؛ لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره صلى الله عليه وسلم، وإرادة بعضهم الدنيا مقدما لها على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى. اللهم أعز الإسلام وأهله.

المشكلة الثالثة: هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة؛ كما قال تعالى:"ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة الأنفال؛ فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضا فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك. وقد بين تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل، قال تعالى:"تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى" ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله:"ذلك بأنهم قوم لا يعقلون" ولا شك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتا ويضيء الطريق للمتمسك به؛ فيريه الحق حقا والباطل باطلا، والنافع نافعا، والضار ضارا؛ قال تعالى:"أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها"، وقال تعالى:"الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق، لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقا، والباطل باطلا، وقال تعالى:"أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم"، وقال تعالى:"وما يستوي الأعمى

والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات" وقال تعالى:"مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا" الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلا من الموت الذي كان فيه، ونورا بدلا من الظلمات التي كان فيها. وهذا النور عظيم يكشف الحقائق كشفا عظيما؛ كما قال تعالى:"مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - إلى قوله - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم" - ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدي القرآن للتي هي أقوم – يقتضي تتبع جميع القرآن وجميع السنة لأن العمل بالسنة من هدي القرآن للتي أقوم؛ لقوله تعالى:"ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا الكتاب المبارك، اقتصرنا على هذه الجمل التي ذكرنا من هدي القرآن للتي هي أقوم تنبيها بها على غيرها، والعلم عند الله تعالى.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين.